قصة قصيرة

للكاتب الفرنسى : فرانسوا كوبيه

ترجمة : عليه رياض

مذكرات سجين :

غدا صباحا ، ستتم الشهور الستة التى حكم على بها لاختلاسى الألفى فرنك من خزينة صاحب المحل الذى أعمل به.

غدا صباحا ساكون قد كفرت عن غلطتى .

فى الثامنة سيدخل الحارس الى زنزانتى ، سيحضر لى ملابسى لأخلع بدلة السجن الكئيبة ... سأظهر أنيقا ... كأى شاب فى سنى ولن يكون على الا أن أنزل الى المكتب حيث ينزعون الحديد من يدى ثم ... ثم ألحق بمرجريت ...

لقد وعدتنى أن تنتظرنى فى عربة على مدخل السجن ... ساكون حرا ...!!

ساكون حرا ... أية سعادة تنتظرنى ... مع من أحب ... مع مرجريت... لقد كانت سببا فى دخولى السجن ... لقد اختلست لأرضيها ولكنها صارحتنى فى خطابها أمس أنها مازالت تحبنى ... واننا سنعود كما كنا معا من قبل ...

وفى باريس ... تلك المدينة الكبيرة يمكن لأى انسان أن يخفى ماضيه بسهولة ويسر ... ثم ان شابا مثلى نشطا ... وسيما وله موهبة كبيرة فى التجارة سينجح بلا شك فى أن يكسب عيشه .

اننى مستعد أن أعمل ليل نهـــار ... لأكسب عيشى ولأقوم بمطالب مرجريت!

ولكن ... ساترك التفكير فى تلك الشئون الجادة لما بعد فلأفكر فى غدى ... غدى فقـط ... أنا واثـــق أنه سيكون سعيدا ... عندما أتخطى باب السجن ... ســالمح فى العربة الواقفة هناك وجه مرجريت الحلو ... ممتقعا من التأثر تحت غلالتها الرقيقة .

سألقى بالعنوان للســائق واضعا فى يده قطعـــة نقـــود حتى يسرع بى فى العـــودة ... سأقفز داخل العربة التى ســتجرى بأقصى سرعة ... وسترتمى الفتاة المسكينة وهى تبكى على صدرى.. يالها من قبلات نهمة مشتاقة ...!!

وسندخل حجرتنا . حجرتنـــا التى توجد فى آخر شارع « مدام » حجرتنا التى تطل على حدائق اللوكسمبورج... وفى تلك الايام الجميـــلة ... آخـر سبتمبر ... الايام الهادئة الايام النقية والاشجار بديعة بأوراقها وهى على وشك أن تسقط عنهـــا وتتهاوى مع فصـل الخريف .

وسأساعدها فى تنسيق المائدة أمام النافذة المفتوحة وشعاع الشمس اللطيف يداعب المفرش الابيض النظيف وينعكس على الأوانى والأطباق فتتلألأ لامعة .

وسنتناول فطورنا فى مرح ونظراتنا تتلاقى ولا تملك أن تحيد عن بعضها... والسكون العميق يحيط بنـا من فرط الرقة والتأثر والحب أو ربما تحادثنا واتفقنا على مائة مشروع يجب أن ننفذها ... معا ....

وبعد ما تسكب القهـوة فى فنجانى ستحضر مرجريت وتجلس بجانبى ... كما كانت تفعـــل من قبل وقد ضمت يديها على كتفى وأسندت فوقه ذقنهـــا اللطيف ... وهى تنظر الى عن قرب . وساشم رائحتهـــا الرقيقة ... رائحة الشقراء . وسيداعب شـــعرها شفتى وساشير للسرير باصبعى ... وسأتلقى الرد بالموافقة بتلك الغمزة اللذيذة من عينها... واذا ... سريعا... سأغلق النوافذ . وأسدل الســـتائر بينما هى ... تشعل الشموع ...

ومن يعلم ... ربمـــا انفجر قلبى سعادة ... وربما مت من الفرحة عندما أرى رقبتها .. وكتفيها ... وصدرها وهو يـــظهر من تحت « الكورسيه » الساتان الاسود بينما تلمع ابتسامتهـــا المثيرة وترتد الى على صفحة مرآة الدولاب المواجهة لى ...

نعم ... هذا الذى يمكن أن يحدث لى غدا ... بعد هذه الشهور الستة من الوحدة القاتلة ... هـذا الذى يمكنى الحصـــول عليه غدا ... غدا اذا أردت الحرية والسعادة والحب .

ولكن هذا لن يحدث ... فسأنتحر بعد قليل بعد أن انتهى من كتابة هذه الوريقات حيث أحاول أن أشرح لنفسى

موقفى وسببا للضرورة الحتمية لموتى ٠

تبعا لهذا الحـــارس ٠٠٠ لقد صمم بالرغم من صرامة قوانين السجن على أن يبيع لى هذه « الوناسة » الصغيرة لأكتب على نورها الضئيل هذه السطور ٠

انه سيندهش غدا ٠٠٠ عندما يحضر ليطلق سراحى ويجدنى مشنوقا على أحد هذه الأعمدة الصلبة ٠٠٠ الباردة سيجد وجهى أسود ولسانى متدليا ٠٠٠ حتما سيندهش ٠٠٠ أليس كذلك٠٠٠ فهكذا ستمضى الامور ٠٠٠ اذا ٠٠٠ فقد قررت ٠٠٠ ساشـــنق نفسى عنـــد منتصف الليل ٠٠٠

اذا فلأفكر ٠٠٠ فلأحلل بوضوح تلك المشاعر التى تنتابنى وتثيرنى ٠٠٠

يجب أن أعترف أولا انه ليس هناك أى شـــعور بتأنيب الضمير على هـــذا الذنب الشنيع الذى اقترفته ٠٠٠

فانا قد خنت الامانة وسرقت رجـلا عادلا وثق بى ، وكان حسن النية نحوى ٠٠٠ كان يقدر عملى ويشرفنى بمديحه ٠٠٠ وكان يفكر دائما فى مستقبلى حتى انه عرض على يوما أن أكون شريكا له فى أعماله التجارية ٠

ولكن فلأتخلص من هـــذه المشـــاعر الضعيفـــة ٠٠٠ فلن أظهر أى شـــعور بالنـــدم ٠٠٠ فلو عاد بى الزمن للوراء لفعلت ما ســـبق أن فعلته دون أدنى تفكير ٠٠٠ نعم فلو شعرت مرة أخرى بذراع مرجريت ترتعش فوق ذراعى أمام واجهة محل المجوهرات ، ولو رأيت ثانية عينيهـــا غارقتين فى الرغبة وهى تتأمل هذه الاسورة المزدانة بالماس ٠٠٠ اذا لسرقت مرة أخرى ٠٠٠ لسرقت الألفى فرنك من جديد ولقدمت لها الحلية ٠

ماذا ؟ هل أنا غبى ؟ ٠٠ أو غير مدرك للامور ؟ ٠٠ لا أدرى ٠٠٠ ولكنى ساكرر ما فعلته ٠٠

هـــذه المرأة ٠٠٠ كم أحببتها ٠٠٠ احببتها عندما رايتها لأول مرة ٠٠٠ يوم تلاقت نظراتنا ٠٠٠!! مازلت اذكر ٠٠٠ لقد دعانى اثنان من أصدقائى للذهاب معهمـــا الى الحفـــل الراقص الكبير فى مونمارتر ٠٠٠ فرفضت أولا ٠٠٠ كنت مجهدا ٠٠٠ وكنت أريد النـــوم مبكرا ولكنهما الحا فتبعتهما ٠

وعزفت الاوركسترا رقصـــة البولكا ٠٠٠ وأخذ الراقصون يدورون بغبـــاء تحت الاشـــجار الهزيلة وقـــد أضيئت غصونها بمصابيح غازية صغيرة ٠

وحضرت امرأتان لمقابلتنا ٠٠٠ كانت احداهما طويلة سمراء وعلى وجهها الكثير من الطلاء وتمثل بوضوح خادمة الليل فى مطعم أو حان ٠

كانت تعرف أحد أصـــدقائى ٠٠٠ وطلبت منا بوقاحة أن نطلب لها مشروبا وجلسنا حول مائدة وتعمدت أن أجلس بجانب المرأة الاخرى ٠٠٠ الشقراء ٠٠٠ وقد أسرتنى رقتها ورشاقة ملامحها ٠٠٠ وهيئتها المتحفظة بل قد أقـــول كانت خجولا ٠ وكان من الواضح أنهـــا كانت حديثة عهـــد بتلك المهنة ولم تصاحب

الرجال فى الحفلات العامة الا منذ أمد قصير ... لم تكن تتحلى بأى مجوهرات ... ولا ترتدى الا ثوبا رخيصا أسود كالحا قديمـــا ثوب فتاة شريفة ولكن قبعتها الجوخ الصارخة ذات الريشة ، كانت تغرى كل من يراها على أن يقول لها ... « أتقبلين العشاء معى الليلة » هـــذه القبعة فقط كانت كاللافتة فوق رأسها !! تدل عليها .

ودار بيننا الحديث وكان صوتهـــا حلوا ... رقيقا مثل عينيها .. وفجأة وجه لها احد زملائى كلمة اعجاب فظة جريئة ولم ترد عليه الا بابتسامة محرجة ... بهـــا أدب واستسلام وشـــعور بالاشمئزاز .

كانت ساحرة وفى نفس الوقت توحى بالعطف ولكنها جعلتنى أفكر « ولم أكن شاعرا فى يـــوم ما .. فى لمعة نجمة المساء فى جدول رقراق .

وفى نهاية الحفل ... عندما صعدنا معا الى العربة قبلتها قبلتنا الاولى ... وكان يغمرنا شعور لطيف بالمحبة ... وقضينا الليلة معا .

يا الهى يخيل لى أنى ما زلت أشعر بحرارة دموعها عندما بكت على كتفى وهى تحكى عن طفولتهـــا المشردة على أرصفة باريس وصباها البائس ثم سقوطهـــا المؤلم الذى لم تستطع تفاديه .

وكانت ليلة .. !! كانت ليلة نعمت بهـــا . وأنرت فى ... لدرجـــة أنى

انتزعت مرجريت بعـــد أيام قليلة من بؤسها المخزى وأصبحت تعيش معى ٠

وكان جنونا ٠٠٠ لم يكن لى من ايراد سوى مرتبى كصراف فى متجر « بسان جيرمان » ٠

ولكن مع ذلك لو أن مرجريت معهـا قليل من المال المدخر أو لو أن لها موهبة ربة البيت القـــديرة فى التدبير لأمكننا المرور بالازمة ٠٠٠ ولكن لم تكن كذلك ٠

كانت بطبيعتها رقيقة ، قلبهـا بارد خال ٠٠٠ سقطت فى الفساد بســـبب ضعفها لا برغبتها ٠٠ لم تكن ســـوى صورة حية لمتشردة باريسية ٠ كسول ومجنـــونة وسكرى بالملابس تبقى فى الفراش الى الظهر دافئة وجهها تقرأ قصة غرامية وقد تتغذى بالسلطة لمدة اسبوع حتى تشترى لنفسها زوجا من الجوارب الحريرية ٠٠٠ وأصـبح منزلى فى حال كبـيرة من الفوضى والاهمـــال ٠ وفى المساء عندما أعود من المحل كنت أجد مرجريت لا تزال برداء نومهـا كمـــا تركتهـــا فى الصبـاح تقرأ أو تصفف شعرها ولم تفكر حتى فى العشاء وكنت أضطر أن أرســـل البوابة لشراء بعض الطعام المحفوظ ٠ وعندما كنت أحاول أن أوجه بعض النقـــد الى عشيقتى كانت تقـول لى بدون أن تغضب « أنا أعرف جيدا اننى لست المرأة الملائمة لك ماذا تريدنى أن أفعل ؟ اهجرنى ٠٠٠ ولن يكون لى الحق فى أن أشكو أو أعارض٠ ولن ألومك ٠

ولم أكن أعـــرف بم أجيب !! كنت متألما ساخطا ٠٠٠ عنـــدما أجد انهـا لا تتمسك بى ولا يهمها هجرانى ٠٠٠ بينما أنا لايمكننى أن أستغنى عنها ٠٠٠ أبدا ٠٠٠ !!

فكرت أحيانا فى أن أهجرها عند بدء صلتنـــا ولكن فكرت أنهـا ستقول لى وداعا ٠

وانهـا ستعود فى نفس الليلة الى تلك الحفلة الكريهة التى قابلتها فيهـا لأول مرة والتى التقطتها منها ٠٠٠ وأن عابرا سيصحبها معه لقاء قطعة أو قطعتين من النقود ٠٠٠ أوه !! ٠ هذه الفكرة كانت غـــير محتملة ٠٠٠ كانت تقتلنى ٠٠٠ أهجرها ؟ ٠٠ ولكن كان يكفى أن أفكر أنه عند استيقاظى فى الصباح لن أشم دفء جسمهـا بقربى ٠٠٠ كنت كاننى أتوه أو أغيب عن وعيى ٠

وبعد عدة أسابيع زادت حاجتى لتلك المرأة وكبرت حتى أصبحت فى قـــوة العـــاطفة المتأججة وعنف العـــادة التى لايمكن التخلى عنها أو التخلص منها !! كنت أحبها ٠٠٠ أحبها ؟ ماذا ؟ ٠٠ لقد كانت تمتلكنى ٠

عندما تعرفت بمرجريت كانت تسكن حجرة كئيبة فى فنـــدق حقير ولم تكن تملك الا القليل من الملابس ٠ هـــذا الفستان الاســود الحقير ثم تلك القبعة التى تصمها وتدل عليها فى الحفلات ٠

ولكى أشترى لهـــا ملابس جديدة

وأوفر لها جهـــازا صغيرا ضحيت بكل ما ادخرته ، لا بل واستدنت أيضا ·

ثم اهمالهـا ··· وقلة عنايتها بكل شيء ·· ثم المصروفات الجـــديدة التى كنت أبددها حتى أسليها · أصحبها الى المسرح والى القهوة لسماع الموسيقى اذ كنت أخشى أن تهجرنى عنـــدما تمـل عيشتها معى · كل ذلك أسرع بخرابى وافلاسى · تأخرت فى دفـــع التزاماتي وكان على مبالغ متفاوتة لجميع زملائى ·

ولكن لم أكن أبوح لمرجريت بمتاعبى المادية · ماذا كان سيفيدنى ؟ · كنت أخاف أن تقـول لى بصوتهـــا الهادىء المستكين : « ماذا تريدنى أن أفعل ··· فلنفترق ·· »

كنت أجتهـــد ألا أفـكر في الكارثة الأكيدة المقبلة متظاهرا بعدم الانشغال أمام عشيقتى وعندما تتجمع عندى بعض النقـــود نقضى وقتا ممتعا فى نزهة أو تسلية ما ولكن ··· بداخـــل نفسى وقلبى ··· كنت ملتاعا من المستقبل ·

وكثير من الرجال ــ فى موقف محرج مثـل موقفى ــ يلجأون الى القمار علهم يحصلون على ما هم فى حاجة اليه ··· وسمعت زملائى فى العمل يتحادثون عن الســـباق ومكاسبهم وخســـارتهم ·· وسمعت رئيس قسم الحرائر بالمحـــل يذكر اسم حصانين مضمونين أعطـاهما له أحد (الجوكية) بالحلبة · وأن أحد هذين الحصانين « ذرة الملح » مجهـول وسيدفع عشرة أضعاف الرهان عليه وأن هنـــاك مؤامرة بين الجـــوكية ورجال السباق لجعل (ذرة الملح) يكسب ··· وكان الكلام بثقة كبـــيرة جعلتنى أفكر جديا فى أن أعمل شيئا ·

يا الهى ··· لـــو أن الورقـة ذات الخمسمائة فرنك مازالت فى درج مكتبى كما كانت قبل حضور مرجريت · اذا لكسبت خمسة آلاف فرنك ·

اذا لكانت الطمأنينة والثقة وسداد الديون واليسر فى الحياة ··· ثم ··· ثم الأهم ··· امتـــلاك مرجريت لعدة شهور أخرى ·

ولكن لم يكن بجيبى سوى قطعتين من النقـــود ··· فطردت من خاطرى تلك الفكرة وهززت كتفى ·

وكنت قد وعدت مرجريت بالرغم من ضيق ذات يدى أن أصحبهـــا فى ذلك اليوم الى مسرح الفولى بريجير حيث يقدم بعض البهلوانات العابا عجيبة مرعبة ·

ذهبنا سيرا على الأقدام وقد تشابك ذراعانا حتى تـــوفر أجرة العربة ... وأثناء مرورنا أمام واجهات المحال كانت مرجريت كأى امرأة أخرى تتوقف أمام الواجهات لا سيما محال المجوهرات . ثم نظرت باعجاب وأشارت لى الى اسورة رقيقة محلاة بالماس .

ـ ترى كم تســـاوى تلك الحليـــة الصغيرة ؟

ـ أوه ... قطعـــا ليس أقـل من خمسمائة فرنك .

فابتعدت عن الواجهة ببطء وهى تلقى بنظرة طويلة بها أسف ومرارة .

ـ هيا بنا .. هذه الحلى ... انها ... حلوة للآخرين .

فى تلك اللحظة بالضبط ... تذكرت جيدا كمـا يذكر الانسان المستقبل فى ومضة سريعة ... تذكرت الكلام الذى سمعته عن الجوكي وخدعة السبق والفوز الأكيد « لذرة الملح »

وفى تلـــك اللحـــظة دفعنى الاغراء بالمكسب الاكيد على أن آخذ من خزينة المحـــل ألفى فرنك فأشترى الأســـورة لمارجريت ثم العب بالبـــاقى على « ذرة الملـــح » وساجد وسيلة لأغطى السرقة بعد عدة أيام حتى أستطيع ارجاع النقود فى السر . واذا ربحت فى الســـباق ستحل جميع مشـــاكلى وتزول متاعبى نهائيا وستملأ جيوبى بالذهب وسأعود لأتناول عشـــاء راقيا مع حبيبتى جالسا خلفها فى مقصورة بالمسرح ... أعبث من آن لآخر بشفتى فى تلك الخصلات المدلاة من شعرها فوق عنقها الجميل .

كنت أفكر فى تلك الاشـــياء معا فى لحظة واحدة قبل أن تستدير مرجريت وتحول عينها عن الواجهة المشيرة لمحل الجواهرجى .

وجررتها وأنا قابض بشدة على ذراعها وأسرعت الخطى وقلبى يكاد ينفطر ثـــم فجأة ... أصابنى شعور عجيب ... أصبت بدوار كأن أحدا ضربنى بشدة على أم رأسى وقلـــت لنـــفسى : « واذا لم أكسب .... ؟؟

وألقيت بنظرة الى تلك التى تســـير بجانبى .

ـ حمدا لله ... لقد كانت ملتفتة الى الجهة الاخرى الى ناحية الحوانيت ... ولم تر عينى ... وفى احدى الواجهات شاهدت برعب وجه مجنون يشبهنى ... لكن ... بعد جهد كبير وقـــوة ارادة جبـــارة استطعت السيطرة على نفسى والظهور بمظهر الهادىء الرزين .

ـ ماذا ... اذا لـــم أكسب ؟ .. أأذهب حينئذ لأجلس وظهرى منحن ... ورأسى ســـاقط على صدرى فوق مقعد المتهمين ، ثـــم ... ماذا ... سأجرب حياة السجن .

لا يوجد شىء بدون مجازفة وفى حالة اذا ما ركبنى النحس . ساكون قـــد برهنت لتلك المرأة على حبى . تلك المرأة التى سيطرت على عواطفى وحواسى . ولكنى لم أستطع أبدا أن أدفىء قلبهـــا البـــارد كالثلج . ساكون قد أعطيت لمرجريت برهانا صادقا على حبى . وربما أحبتنى أخيرا وربمـــا تألمت بدورها لأجلى ... كانت داعرة ولكنها ستعرف أننى سرقت لأجلها .

الساعات تمر ... ما فائدة أن أحكى عن العاطفة النفسية التى مررت بهـا والتى ضيعت كل آمالى ؟

ما فائدة أن أحكى عن السرقة التى اقترفتها ثم الخيبة الفظيعة التى واجهتها فى حلبة السـباق حين وجدت الناس يصرخـون محيين « السبعة السباتى » عندما سبق « ذرة الملح » برأس وضاعت معه كل آمالى .

واكتشـفت سرقتى وقبـض على وحوكمت ... وحـكم على بالحبس والقيت أخيرا فى هـذا السجن حيث قاسيت أشد أنواع العذاب .. ثم لن أفارقه الا فاقد الحيـاة .. نعم أشد أنواع العذاب .

لم يكن تأنيب الضمير لا ولا الحرمان من الحرية ولا المعيشة وسط المجرمين وقطاع الطرق ... لا .

عذاب أشنع وأمر .. عذاب الغيرة .

لم أكن قد سبق لى أن تعذبت أبدا بذلك الشعور الفظيع ... فمرجريت أثناء الخمسة شهور التى عشناها معا لم تفعل أبدا شيئا يثير فى هذا الشعور البغيض .

كانت كسولا حتى أنها تقضى النهار كله فى مسكنى... وكان عندى الدلائل على ذلك وفى المساء عندما كنا نخرج معا لم الحظ اهتماما منها بأى شخص آخر غـيرى فلم تكن مرجريت أبدا معجبة بنفسها .

ولقـد حدث ما كنت أتوقعه ... وتألمت مرجريت جدا لما حدث لى ... ولموقفى كمذنب ... فقد رأت فى ذلك برهانا ماديا لحبى لها . وذرفت دمعا سخينا وهى تتهم نفسها بأنهـا سبب ضياعى . وعندما سمح لها بزيارتى فى السجن ادعت أنها أختى وعندما رأيتها رأيت وجها شاحبا من الحزن ... لقد أحببتنى أخيرا ... لقد تأكدت من ذلك.

اننى أذكر جيدا لقـاءنا الاول فى السجن . كنا نتبادل النظرات فى سكون عبر الأسلاك الحائلة بيننا . وأخيرا قلت:

ـ أتحبيننى بعض الشىء يامرجريت ؟ هل أنت صادقة فى حبك لى ؟

ـ أكثر وأحسن مما قبل . انك ترى بنفسك فى أى حالة أصبحت بعد غيابك عنى .. !!

ـ عجيبة لقد كنت باردة جدا معى .. قبل دخولى السجن .

ـ ان ما فعلته قد غيرنى جدا .. هل كنت أصـدق أنك تحبينى الى هـذه الدرجة ... لقـد أثبت لى ذلك ... أطلب منى أى شىء لأثبت لك حبى .!!

ـ لايوجـد الا شىء واحد يثبت لى ذلك الحب .

ـ ماهو ؟ اننى مستعدة لكل شىء .. لأى شىء .

ـ أن تبـقى على حبى ووفائى وتظلى مخلصة لى حتى أخرج من السجن .

ـ انى أعدك بذلك ... وأقسم عليه.

ـ أحقا ؟ ... وكيف ستعيشين ؟

ـ سأعمل

ـ أنت ؟ .. يا عزيزتى المسـكينة تعملين ؟ . هيه ... اننى أعرفك جيدا .. انك لا تجيدين شيئا .

ـ لقد تعلمت لاعمل خياطة ... وسترى .

وحضرت بعد ثمانية أيام... وخلعت قفازها لتبين لى كيف أن أصابعها قد ثقبت من وخزات الابر ... ثم قالت لى انها تعهدت بتوريد كلف لأحد محلات الموضة . انها تكسب حاليا فرنكا فى اليوم ولكنها بعد قليل ستصبح ماهرة وستكسب ثلاثة فرنكات يوميا وربما أربعة .

ـ سيمكننى أن أعيش بذلك ... (واستدركت باسمه) لن أعيش عيشة رغيدة ولكنى حاليا لا أفكر الا فى شىء واحد .. أن أرضى وأسعد حبيبى .

حبيبى ... هذا الاسم ... حبيبى الذى كانت تقوله لى من قبل بدون أى اكتراث كما تتشدق بأى لفظ آخر اعتادت أن تقوله لكل عشاقها ... نطقته فى هذا اليوم بنغم مؤثر رقيق شعرت أنه صادر من قلبها .. شعرت أنها تعنينى فعلا . أنا ... أنا دون أى شخص آخر . وقفزت الدموع من عينى .

لا يهمنى اذا أن أكون سجينا . لا تهمنى نظرات الاحتقار والاستهزاء التى تحيط بى ... ثم ذلك الحساء الردىء الذى أتناوله وسط الافاقين . ولا الليالى الطويلة المسهدة التى أقضيها فى ظلام الزنزانة !!

مارجريت تحبنى ... أصبحت تكسب عيشها لتبقى شريفة وفية لى . فى انتظارى هل هذا ممكن ؟ أنا الرجل البائس ... لقد اقترفت سرقة من أجل امرأة . وستهدأ سكينتى بعد ذلك . سأكفر عن غلطتى . وسألجأ إلى ذراعى نفس المرأة ولكنى سأكون شخصا آخر وقد صقلته التجربة ودربه الحب والعمل وستكون هى نفسها أول من يهدينى لطريق الصواب اذا ما راودتنى نفسى اليه .

آه ... كم كنت مملوءا بالأمل والشجاعة مستعدا لأن أمضى مدة العقاب التى أستحقها دون شكوى ودن ألم وفى أشد لحظات سجنى ضيقا ... كنت أفكر فى مرجريت وكان الامل يعزينى ويدفئنى وكأنه قوة سحرية تدفىء قلبى ... وزملائى فى السجن الكريهون كانوا يسألوننى لم أبد دائما سعيدا ؟ وما الذى يجعلنى أبتسم ؟ .

حالتى النفسية المتفائلة ... أنا المذنب الذى يرتدى ملابس السجن المشينة والذى ينهره الحراس كما ينهرون كلبا .

أنا ... انهم لا يعرفون ... لقد عشت لحظات بديعة ... هذه الموجة من السعادة التى تغمرنى والرضا بما قسم لى والامل فى المستقبل ينير أمامى الطريق .

تلك الحالة دامت شهرين وفى ذلك الوقت كانت مرجريت تحضر لزيارتى بانتظام ساعة كل أسبوع ... وفى كل من تلك الزيارات كنت أتأمل بأسى وشفقة عينيها المحاطتين بهالة سوداء من السهر . ووجنتيها الذابلتين من الحاجة والبؤس وأصابعها المخشنة وراءها الذى أصبح كالحا باليا .

ولكن ... أتى يوم بدأ فيه عذابى وحيرتى وألمى وسهدى . حضرت بثوب جديد وذابت نفسى وعذبنى شكى فيها

واتهامى لهـــا بالخيانة ولكنها واجهت نظرتى وقالت وهى تبتسم :

ـ آه انك تنظر لثوبى ... لقد أعطنه لى كلوتيلد ... أتعرف كلوتيلد انهـا تلك الفتاة التى كانت تصحبنى يوم أن تقابلنا لأول مرة ان لها الآن عشيقا غنيا يغرقها بالهدايا والملابس ... لقد أهدت الى هـــذا الفستان عندما رأتنى ألبس القديم البـــالى ... ولم يكن على الا أن أصلحه قليلا ... انه كالجديد لم تلبسه الا خمس أو ست مرات ... ألا يبدو جميلا على بعد أن اصلحته ؟

ولم يكن هذا صحيحا ... فمارجريت لم تكن تعرف تلك الكلوتيلد كصديقة. كانتا تتقابلان فى الحفلات العامة فحسب ثم انه من غير المعقول أن يكون لكوتيلد عشيق غنى يصنع لهـــا المعجزات فهى ليست شابة وليست جميلة وسيكتفى بعض السكارى بقضاء الليلة معها ... أما أن يكون لها معجب وثرى ...لا... أنا واثق أنها تكذب على .

وبالرغم من محاولة مرجريت مواجهة عينى كانت نظرتها مرتبكة وأهدابهـــا تتضـــارب بسرعة ويظهر الكذب فى عينيها .

وكنت على وشك أن أواجهها بكذبها. وأعاتبها منفجرا غاضبا . ولكنى خفت ... خفت ألا تعـــود لى ثانيـــة ... وسكت ... واستمرت تكلمنى بحرارة قائلة انهـــا تكسب الآن ثلاثة فرنكات وأحيانا أربعة فى اليوم .

وقالت ان أمامها أعمالا كثيرة لايمكنها انجازها جميعا وانها تفكر فى استئجار مساعدة لهـــا . وكانت تنســـاق فى أكاذيبها ... وكنت واثقا من كذبها !!

وبالرغم من أنى كنت أشعر بعاصفة من الغضب والالم تثور فى صدرى ... كانت نفسى تتظاهر بالهدوء حتى النهاية ... ولم أرد الا بكلمات مقتضبة لامعنى لها على كل هذا الكلام .

ونسبت سكوتى الى ألمى من السجون وخرجت وهى سعيدة لانها قد غررت بى رخدعتنى .. اذا مرجريت تخوننى .. وأنا أكفر عن ذنبى كسارق بسببها .

لقد اتخذت عشيقا .. ربما تبيـــع جسدها بالليل كما كانت تفعل من قبل او ربما مقابل بعض الملابس لقد رأيت فستانا جديدا لها .. وفى المرة القادمة أراهن على قطع ذراعى الأيمن اذا لم تأت لى بزوج جديد من القفازات وبقبعة جميلة وكل تلك الاكاذيب التى قصتها على لم تكن الا مقـدمة لما ستلبسه أمامى فى المرات القادمة ولم تفكر فى أن تتظـاهر أمامى بالشرف بأن تلبس ملابسها القديمة أو أنه ربما عز عليها أن تظهر فى الشارع بثوب بال .. لقد فضلت أن تقص على أكاذيبها السخيفة .

أو ربما هزت كتفيهـــا قائلة هو وشأنه ان لم يصدقنى .

أوه تلك العـــاهرة الماكرة .. ألهذا سرقت ؟ .. ألهذا وصمت اســـمى بالعار ؟ ولكن كم أنا غبى .. انهـــا أهل لهذه الخيـــانة فهى لاتحبنى . . فلماذا تحضر لترانى .. احسانا على.. أو تظاهرا بالرثاء كما كانت تذهب الى البوابة المريضة حاملة لها البرتقـــال بالمستشفى

ياللعار .. كانت تشفق على اذن .

وقضيت ثمانية أيام مرعبـــة ..

وتدور فى رأسى تلك الافكار ثم تملكنى الخـوف ·· مم ·· ماذا اذا لم تحضر فى الزيارة القادمة ؟ وقد قذف بى ذلك

الخاطر فى دوامة هائلة من القلق والخوف واليأس والعذاب ·· كما ظهر لى مقدار حبى لها · وحرصى عليها ورغبتى فيها وهول فجيعتى اذا مرت الايام ولم أرها فعاهدت نفسى على السكوت ومـداراة ظنونى ·· وخجلى وعارى لانى أحبها ، أريد أن أبقى عليا ولا أفقدها ·· بالله كم أحبها ·· وحضرت ···

أوه لقد راهنت ·· لقـــد حضرت بقبعة جميلة للربيع وهى فى أكمـــل زينتها ، وكان وجهها صبوحـــا مشرقا وبشرتها أكثر نضارة وشبابا ·

حتما تلك المرأة لاتعيش فى عـــذاب الحاجة ولا تعمل ليل نهار فى الخياطة ووصلت بها الجرأة الى أن تقول لى انها سعيدة وانها قد استأجرت عاملتين ·· ومائة أكذوبة جديدة وتظاهرت بالفرح لها ·· ومجاراتها ·· وطلبت منها أن تخلع القفاز تضع يديها على الســـور الحديدى أمامى حتى يمكن لى لمسهـــا بشفتى ولاحظت عدم وجود آثار الابرة فى أطراف أصابعها ·

الساعة تدق الحادية عشرة والنصف فى ساعة السجن ·

وطرف الشمعة يكاد يخبـــو ··· فلنسرع ···

ولو اتسع لى المقام لوصفت لـــكم ماقاسيته من حيرة وبؤس وعذاب ولكنى سألخصه فى كلمتين ·· «غيرة رجـــل سجين» ·

وسيطول بى الأمر لو وصفت تلك القائمة من العـــذاب الذى سببته لى مارجريت فى كل زيارة جديدة ولـكن تلك الزيارة يجب أن أحكى لكم عنها ·

كنت فى انتظـارها فى ذلك اليوم كنت أحاول أن أقنع نفسى بأننى ربما تجنينت عليها ·· ليس بعيدا أن تصل امرأة الى أن تكسب عيشهـــا بشرف ووفرة حتى تشـــترى بعض الملابس والكماليات ··

ومر فى ذهنى خاطر طمأننى ·· فلربما تحرص على الظهور أمامى بملابسهـــا الجديدة لثقتها انها كسبتها عن طريق شريف والا لاستطاعت أن تخفيها عنى

ولم تكن مرجريت تهوى التزين بالحلى والحلية الوحيدة التى حرصت عليهـا وتحلت بها كانت الاسورة التى اشتريتها لها بالنقود المسروقة ·

وبدأت أشعر اننى كنت متجنيـــا عليها و ·· واقنع نفسى ببراءتها وحبها لى ·· ولا أفكر الا فى ما يبرىء مارجريت من تهمة خيانتى ·

وحضرت فى الزيارة فى الميعاد المحدد كما تعودت دائما وعندما رأيتها عن بعد شعرت باتهاماتى لها تتبخر ولكن عندما اصبحت قريبة منى هالنى شىء ·· أثر ثقب وجرح لم يبرأ بعد فى أذنيها ·· بالله ·· لقد حصلت على جواهر اذا ·· أو ربما رفعته من أذنيها قبل دخولهـا لى حتى لاتؤلمنى ·· لقد اصبحت تريد وضع حلى رقيقة فى أذنيها ·

فى ذلك اليوم فقط لم يبق لدى أدنى شك فى خيـانة مرجريت ·· وبدأت أفكر فى الانتحار ، وكان يجب أن أعترف

انني مازلت أحب تلك المرأة وفى الليل أحلم بها بجانبى ٠

وتملكنى الضعف حتى صور لى أن أحتفظ بها بالرغم من كل شىء ٠

وكنت أسخر أحيانا من غيرتى ولكن شعورى بالعار كان أقوى منى وفكرة خيانتها لى ٠٠ فكرة بيع جسمها لآخر لا بل ربما لرجال آخرين بينما أنا فى السجن بسببها ٠٠ تثيرنى وتقتلنى ٠

وكما ذكرت فى بدء رسالتى كان يمكنى أن أخرج معها غدا وأتمتع بقربها وجمالها وأقضى وقتا حبيبا سعيدا ٠٠ ولكن ربما لمحت فى رماد المدفأة طرف سيجار «السيد» الذى كان معها بالامس وقد أمسك بسكين وأغرزه فى صدرها لقد صرت سارقا ٠ ولا أريد أن أصبح قاتلا ٠٠ من الافضل لى أن أموت ٠ ٠ أموت وانا أعرف أنها أحبتنى فى وقتما ولكنها لم تكن لديها القوة لتنفيذ قسمها لى ٠٠ وداعا يامرجريت انك لست سيئة بطبعك ٠

ولربما وأنت تقرأين هذه الكلمات ستبكين للحظات أظن ذلك ٠٠ ولكن كل شىء ينسى سريعا فى هذه الحياة ٠

وبعد مدة ٠٠ عندما سيطلب منك أحد عشاقك أن تسليه بقصة حياتك ستكونين فخورة كامثالك٠٠ وستقفزين بقدميك العاريتين ، من السرير لتذهبى وتحضرى له هذه الاوراق من الدرج ٠ ستكونين محتفظة بها جنبا لجنب مع أوراق اللعب وكشف بأسماء معارفك٠٠ ثم تعودين لتوقدى بجواره وتقرأى له اعترافاتى ٠٠ لزائر ليلة ٠٠ فخورة أن تثبتى له ان بائسا قد قتل نفسه من أجلك ٠

ان الليل ينتصف ٠٠ وشمعتى ستنطفىء ٠٠ لقد طويت ملاءة سريرى٠٠ وجهزتها لتكون لى حبلا كما أن لوح الخشب صلب متين ٠٠ بعض الشجاعة اذا ٠٠ ولتنتهى ٠